الدين والسياسة والوطنية

للأستاذ محمود الشرقاوى

في أصيل يوم من أيام الصيف من سنة ١٩٣٨ — وكانت قد جرت في شتائها انتخابات عامة في مصر — كنت في زيارة المرحوم الشيخ الراغي في « العوامة التي كان يقيم بها على صفحة النيل في الزمالك ، وجرى بيننا حديث لا أزال أذكره كأنه جرى بالأمس . فقد سألني ، يرحمه الله ، ماذا يقول الناس عنا . . ؟ قلت : يقولون إن الأزهر انصرف شيئاً ما عن مهمته إلى السياسة ، ويخشى الناس أن يجرفه تيارها فقال وماذاك ؟ إن رجل الأزهر ليس يضيره شيء أن يشتغل بالسياسة بل يجب عليه أن يشتغل بها ككل مواطن ، والدين لا يمنعه من ذلك بل يحضه عليه . فقلت : نعم يامولاى ، إن الدين لا ينهى بل هو يحض على الاشتغال بأمور الناس وبالشؤون العامة والعمل لخير الجميع في كل ميدان ، وقد اشتغل علماء المسلمين وكثير من أئمتهم بسياسة عصرهم ولقي بعضهم العذاب والسجن في هذا السبيل ، كما جرى لابن حنبل من المعتصم حين سجن في فتنة « خلق القرآن » . فقد كان الرأى دينياً ولكن ملابسات الأمر كله كانت ملابسات سياسية ، وكما سجن وأوذى أبو حنيفة وابن تيمية لاشتغالهما بسياسة عصريهما . فأنا معك في كل ما تقول مع فارق واحد دقيق ولكنه كبير ، فما على رجل الدين من بأس إذ يشتغل بالسياسة ، ولكن البأس والحرج والايذاء له ولمكانته ورسالته أن يشتغل بالحزبية ، وقد أردت أن أتلطف فما يقوله الناس ، فوضعت كلمة « السياسة » حيثما كنت أريد أن أقول « الحزبية »

وقد أجاب ، يرحمه الله ، جواباً ما أرى من الخير الآن أن أذكره .

وقد أذكرني هذا الحديث القديم ما نشرته صحفنا المصرية من قبل عن مشكلة جزيرة قبرص ورغبة أهلها في الانضمام إلى اليونان ، فقد ذكرت هذه الصحف أن الكنيسة الأرثوذكسية أشرفت على استفتاء السكان ذلك الاستفتاء الذي ظهر من نتيجته أن وضحت رغبتهم في الانضمام لليونان بنسبة ٩٥ في المائة وكانت الكنيسة واضحة الرغبة في إبراز هذا الاتجاه لسكان الجزيرة .

فهل لرجل الدين أن يشتغل بالأمور السياسية والوطنية . . ؟

ويحسن بي هنا أن أوضح ماذا أريد بالوطنية . وهل السياسة شيء والوطنية شيء آخر . . ؟

الوطنية التي أقصدها في هذه الكلمة هي الاشتغال بأمور الوطن ، أو ما نسميه « بالصالح العام » بما ينطوي تحت هذا من الصوالح السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما دمنا شعباً لم يستطع بعد أن ينال جميع حقوقه الوطنية ، فإن شواغلنا من هذه الناحية ستكون دائما في المحل الأول .

ولما السياسة فهي ، عندي ، ماهو أعم من ذلك وأشمل ، هي ما يتعلق بسياسة الوطن الأصغر الذي هو مصر والوطن الأكبر الذي هو العالم ، وتدخل في ذلك طبعا نظم الحكم ومحاسبة أصحاب السلطة الذين أخضعتهم القوانين العامة المحاسبة ،

فهل لرجل الدين ، إذن ، أن يشتغل بالأمور السياسية والوطنية . . ؟

أما نحن ، في مصر والشرق ، فالفهم السائد بين كثير من الناس ومن رجال الدين أنفسهم أن رجل الدين لا شأن له ، أو يجب ألا يكون له شأن بذلك ، ولكني أعتقد أن هذا الفهم بقية من بقايا الطروف والملابسات التي سيطرت على الشرق أزمنة طويلة وجعلت الابن ، في بعض الأوقات يقتل أباه والأخ أخاه في سبيل الملك أو السيادة . تلك الملابسات التي جعلت الناس يؤمنون ويتوارثون الايمان بأن النجاة في السلامة والانكفاف عن المشاركة وقالوا وتواصوا : أيها سعد فقد هلك سعيد . وكانوا على حق ، وجعلت — هذه الملابسات — من جهة

العارمة خطرا على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأدب نفسه ؟ من هم لأدباء الذين تقع عليهم التبعة في انحطاط الأدب الحديث ؟ وأى المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط ؟

فاذا فرضنا أن هذه الأسئلة ألقيت علينا كما ألقيت عليهم فماذا نجيب عنها ؟

(للكلام بقية) حسن الزيات

أخرى أصحاب السلطان ، فى الزمن القديم ، لا يؤمنون بأن لرجل الدين حقا فى الاشتراك أو المشاركة أو التوجيه ، بل هو يوجه العامة إلى ما يقصد ويراد . وكلاهما ، الموجه والموجه ، لا « حق » له فيما سوى ذلك ، لو صح أن ذلك « حق »

ولكن أحوال الناس وظروف الحياة قد تغيرت تغيرا كبيرا ، وأصبحت السياسة والاشتغال بها حقا مشاعاً لكل مواطن ، وليست خاصة أو محصورة فى طبقة معينة من الناس يسيرون مقادير الشعوب وأمورهم من وراء الحجرات .

• • •

رجل الدين له رسالة خاصة ، لا شك فى ذلك ، وهى رسالة لو أديت على وجهها الصحيح لكانت من أهم الأسس التى يقوم عليها نظام المجتمع الشرقى وهدوؤه وانسجامه ، وكانت سبباً أو عاملا فى انحسام أو نقصان كثير من عوامل الشر والجريمة والتقلقل فى هذا المجتمع .

ولكن هذه الرسالة الخاصة ليست مانعاً من اشتغال رجل الدين بالأمور العامة ، بل قد تكون داخلة فى ضمن رسالته تلك ومما يساعده على النجاح وقوة الأثر فى هذه الرسالة نفسها . ولكن هناك شرط واحد لاشتغال ، أو لجدوى اشتغال ، رجل الدين بالسياسة ، هذا الشرط هو « التجرد » .

التجرد من العامل الشخصى والتجرد من التحزب لفرد أو لجماعة خاصة أو حزب خاص مهما يكن أثر هذا الفرد ووضعه ، ومهما كانت الجماعة أو الحزب من العمل — حتى العمل الوطنى — أو من الحكم .

رجل الدين يجب أن يكون وضعه بالنسبة للامور السياسية فى موضع الفيصل والحكم والميزان . يذكر الناس إذا انحرفوا فى اتجاههم السياسى أو انحرفوا فى الحكم ، ويدعوهم للاستقامة والخير والتجرد كما يتجرد هو — أو كما هو المفروض أن يتجرد هو — من الغايات والرغبات . كما يدعو الناس إلى دعوة الله من البر والخير والمودة إذا انحرفت بهم نزوات النفس أو مالت بهم إلى الخروج أو البعد عن الغايات السامية التى اصطفى الله رجل الدين لرعايتها وتوجيه الناس لها .

رسالته فى السياسة ، كما هى رسالته فى الدين والمجتمع ، هى العودة بالناس من الانحراف إلى الاستقامة ، والرجوع بهم إلى المثل أو ما هو قريب من المثل العليا إذا بعدت بهم النزوات والرغبات والخصومات عنها .

وأما الوطنية فلا شك أنه من الخير أو من الواجب أن يشتغل بها رجل الدين ، على نفس هذه الأسس ، وقد كانت السياسة المصرية نفسها قبل ثلاثين أو أربعين سنة قائمة على الدين وكانت دعوة الحزب الوطنى تتجه هذه الوجهة وتقوم على هذا الأساس ، وإن كنا لا نحب أن نرجع إليها ، ولن نرجع .

والمفهوم من الوطنية طبعا هو الدفاع عن الحق الذى سلب من أهله ، والعمل على رد هذا الحق لأصحابه .

وماذا يكون رجل الدين إذن وماذا تكون رسالته إذا لم يدافع عن الحق ويعمل على نصرة أهله ..؟ فكيف إذا كان أصحاب هذا الحق بينهم وبينه ما بين أصحاب الوطن الواحد من الوشائج ، والصوالح أيضاً . ؟

محمود الشرقاوى

المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

فى القرن التاسع عشر

تاليف المستشرق الكبير ادوارد وليم لين

نقله إلى العربية الأستاذ عمر لطفى طاهر توم

كتاب يقع فى ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير وهو سجل حافل لعادات المصريين وآدابهم وأحوالهم واعتقاداتهم وأساطيرهم القرن التاسع عشر. يمتاز بوضوح المنهج ودقة التفصيل وتوخى لحقيقة وجمال العرض وتصوير الأشياء والأشخاص بالقلم والريشة تصويراً يحفظ لها خصائصها وملامحها فى الذهن والعين على تراخى الزمن . والكتاب مترجم عن الانجليزية ترجمه أمينة دقيقة تكاد مع بلاغتها وسهولتها تكون حرفية

يطلب الكتاب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات الشهيرة والثمن خمسون قرشا عدا أجرة البريد .